اليوم الثلاثاء الموافق

1/10/20025

السنة الرابعة

الفصل السابع

تاريخ السودان المعاصر

المحاضرة الثامنة

مراحل التفكير والتخطيط البريطاني لغزو واحتلال السودان وقد اخذذلك وقتا وجهدا ومداولات ومراسلات ورحلات نلخصها في نقطتين

أولهما: المرحلةالإستطلاعية حيث كان في البداية غرض الحكومة البريطانية معرفة احوال السودان معرفة تفصيلية دقيقة قبل اتخاذ قرار نهائي فيما يجب أن يكون عليه موقفها من ثورة المهدي في السودان العثماني المصري. واقدامها على ارتكابها حماقة غزوه واحتلاله

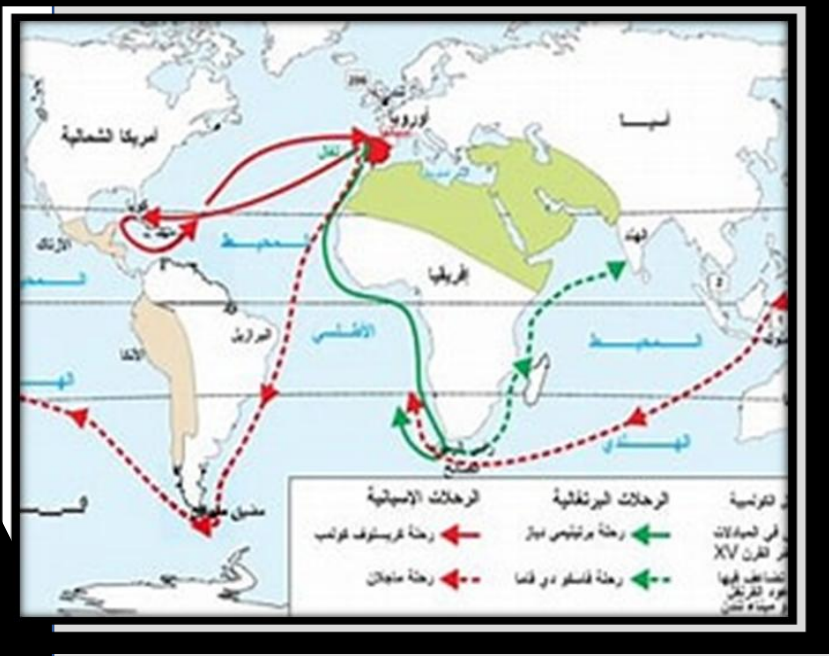

وثانيتهما: كانت ذات دور تقريري بمعنى أن الحكومة البريطانية بعد وصولها إلى المعلومة الصحيحة الوافية وتمكنها من دراسة الحالة بالسودان وصلت إلى قرار بشأنه . فكان القرار إبتداء يقضي بإخلاء كل الأراضي السودانية ما عدا سواكن. وعليه أجبرت بريطانيا الحكومة العثمانية المصرية على تنفيذ ذلك القرار الذي نتج عنه مقتل الجنرال غوردون في الخرطوم (1885) السؤال"

- من هو غوردون؟
  - الاسم الكامل: تشارلز جورج غوردون ((Charles George Gordon) . اللقب الشائع: "غوردون الخرطوم" ((Gordon of Khartoum
  - كان ضابطًا في الجيش البريطاني، اشتهر بدوره في الصين خلال تمرد تايبينغ، ثم في السودان كممثل للإمبراطورية البريطانية.

خمسة الاف غرش مصرى

٤٩٧

هذا المبلغ مقبول دينارى دفعه من خزينة الخرطوم ومصر
بعد مضى سنة شهور من تاريخه ٢٥ ابريل ١٨٨٤

غوردون
باشا

GENERAL GOVERNMENT DU SOUDAN

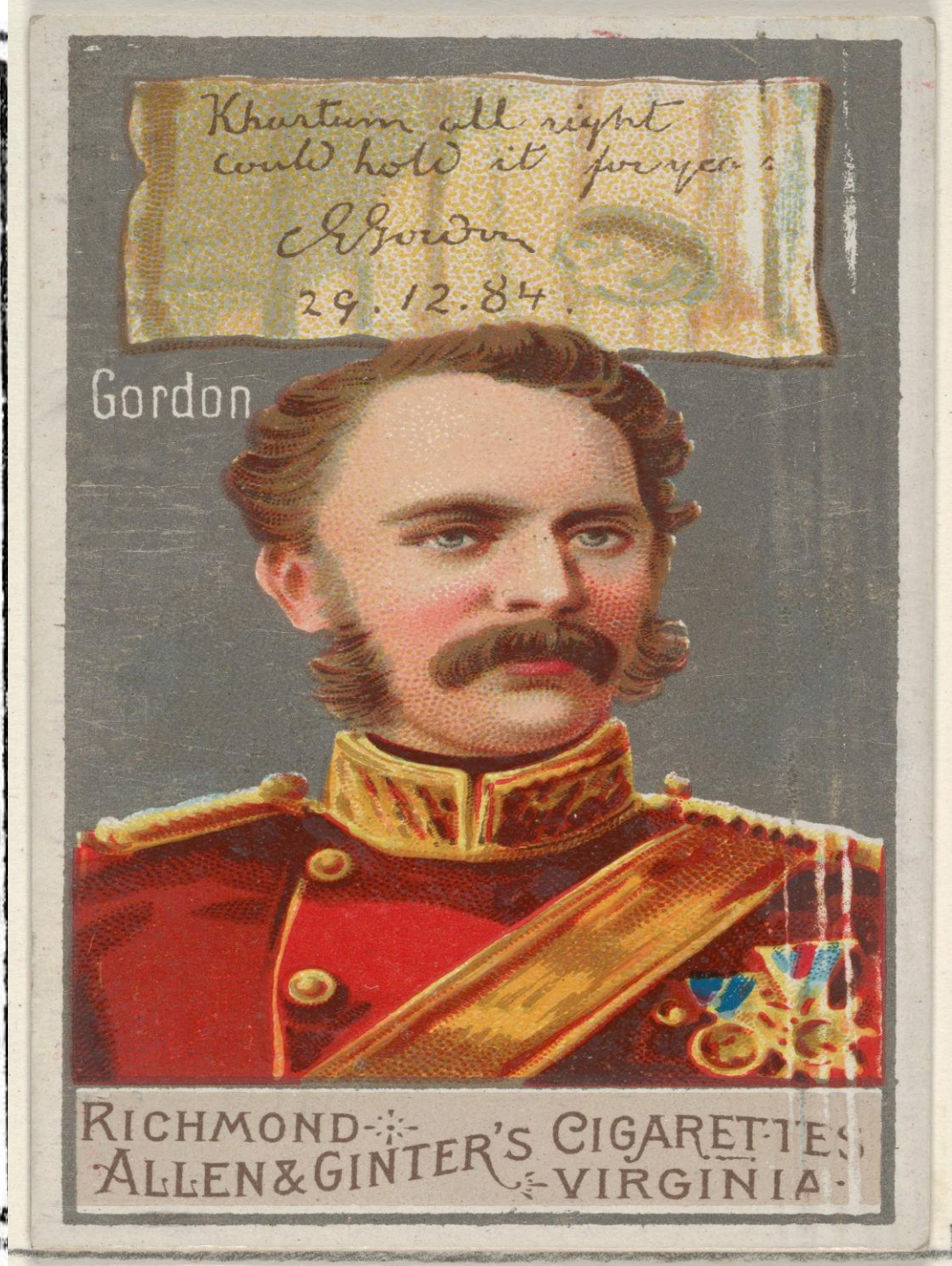

الخرطوم – في 28 يناير/كانون الثاني 1885 تأكدت لحملة إنقاذ الحاكم الإنجليزي للسودان الجنرال غوردون أنباء مصرعه على يد قوات المهدية. وهو التاريخ ذاته الذي كان ينبغي أن يحتفل فيه الجنرال البريطاني بذكرى مولده الـ52، مات غوردون وتحررت الخرطوم، واصبح ذلك لغزا حتى اليوم وحاول اللورد كتشنر ان ينتقم بصورة غير مسبوقة عن طريق مذبحة استحق بها سفاح العصر

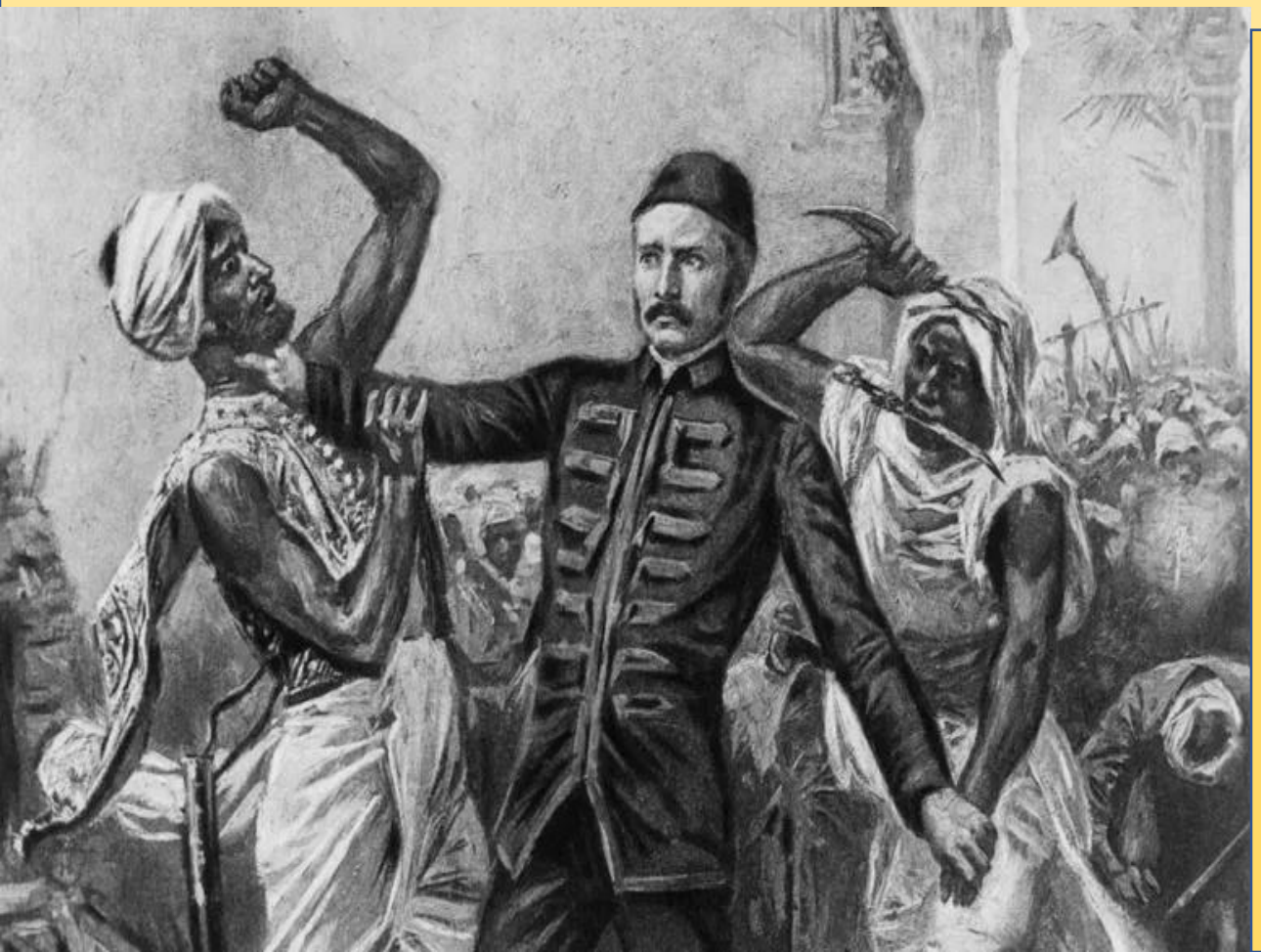

رسم لمقتل الجنرال تشارلز جورج غوردون، ضابط ومدير الجيش البريطاني، في الخرطوم عام 1885

❑ سياق مقتله

- في عام 1884، أُرسل غوردون إلى السودان لإجلاء القوات والمواطنين البريطانيين إثر تصاعد ثورة المهدي بقيادة محمد أحمد المهدي.
- رفض غوردون الانسحاب، وقرر الدفاع عن الخرطوم رغم الحصار.
- استمر الحصار أكثر من 300 يوم، وانتهى في 26 يناير 1885 باقتحام قوات المهدي للمدينة.

❑ تفاصيل مقتله

- قُتل غوردون في قصر الحاكم العام بالخرطوم، ويُقال إنه قُطع رأسه، لكن الروايات تختلف:
- بعض المصادر تقول إنه قُتل أثناء مقاومته.
- أخرى تشير إلى أنه أُعدم بعد القبض عليه.
- لم تُسترد جثته، ولم يُعرف مصيرها بدقة.

هذا ما حدث للقارة الافريقية بالضبط في غرف مغلقة خلال مؤتمر برليم فبراير 1885م

مما مضى يتضح لنا جليا ان بريطانيا منذ فترة مبكرة فكرت في امر احتلال وغزو السودان ولكنها كالعادة لا تتعجل في امرها دون روية ودراسة وتخطيط واستراتيجية عكس عالمنا العربي والاسلامي والافريقي ولهذا من الخطأ ربط الغزو والاحتلال بالفترة الاخيرة من حكم الخليفة . وكان طلب اخلاء القوات العثمانية المصرية مقصود من ان يصبح السودان ارض خلو وفقا لمنصوص اتفاقية برلين وبالفعل نتج عن هذا القرار جعل السودان منطقة خالية بالمنطق الدولي السائد بين الدول الأوروبية يومئذٍ ذات المصلحة الحقيقية من صدور مثل هذا القرار ، مما أتاح فرصة إقتسام الدول لأملاك مصر والسطنة العثمانية في السودان فيما بعد وفقاً لنصوص مقررات مؤتمر برلين الجائرة بحق أهل السودان . واهل افريقيا عموماً

مؤتمر برلين والصيد الثمين الذي يتصارعون ويختلفون ويتفقون حوله هو هذه القارة الافريقية

.

وظلت السياسة البريطانية في هذه الفترة تتذرع بدعوى سياسة الدفاع عن حدود مصر الجنوبية فقط ولكنها في الواقع هناك خطة مسبقة تسير وفق مراحل مدروسة ومخططة . واضحت السياسة البريطانية إزاء المهدية وفق للخطة الموضوعة مسبقاً قائمة على الدفاع ولا شيء غير الدفاع حتى يحين وقت المرحلة التالية . و في الظاهر بالنسبة للمراقب غير الملم ببواطن الامور يبدو له انه نتيجة للمستجدات على الساحة المحلية والدولية تخلت بريطانيا عن سياسة الدفاع إلى سياسة الهجوم ولكن الحقيقة خلاف ذلك تماما فهي قد انتقلت انتقالا طبيعيا من مربع واحد الى مربع اثنين وفقا لاستراتيجيتها

مؤتمر برلين 1884م التكالب على القارة الافريقية واحتلال وليس استعمار القارة الافريقية (clonization) الصورة توضح كيفية التكالب القارة كالكيكة

The Berlin Conference of 1884

What were the circumstances that led to the Berlin Conference of 1884?

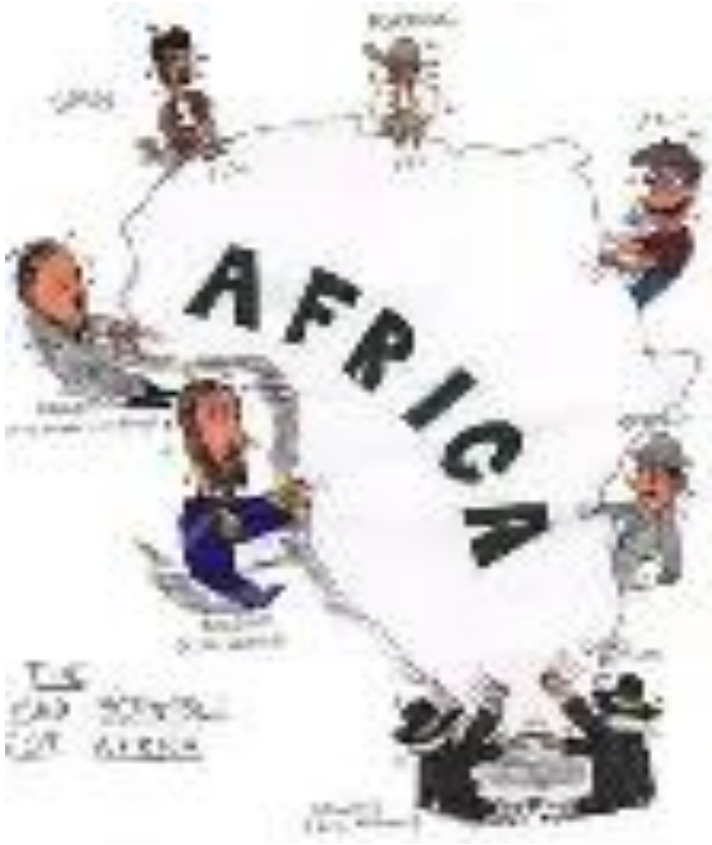

The Scramble for Africa

The Berlin Conference and the Colonization of Africa

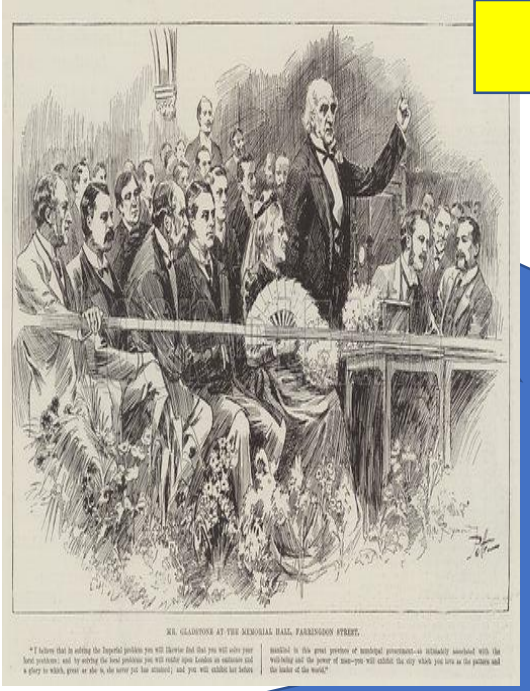

جلادستون

لا سيما بعد وصول حزب المحافظين دعاة بناء بريطانيا العظمي الي دست الحكم بقيادة سالسبري وسقوط حزب العمال بقيادة غلادستون الذين تقدمت الاشارة اليهما

Berlin Conference, 1884 & 1885

- An agreement was made by 14 European nations about how to divide the continent of Africa among them. Britain dominated the conference.
- African ethnic and linguistic groups were arbitrarily distributed among European nations
- No African leader invited. Only Liberia & Ethiopia remained free (Map, pg. 343)

The Berlin Conference (1884)

- European nations initially met to discuss the Belgians' occupation of the Congo
- Eventually, however, the Conference set the ground rules for any European state wishing to set up colonies in Africa, with the main interest being in preventing any fighting between European nations over African colonies

علم مصر منذ الخديوية

ولعل من أبرز هذه العوامل التي يلاحظها المراقب لاول وهلة والتي استدعت تغيير سياسية بريطانيا نحو السودان هو أن الحكومة البريطانية قد تغيرت سياستها تدريجياً فيما يتصل باحتلال مصر ذاتها منذ بداية 1882م ومنذ تلك الفترة المبكرة وضعت امر السودان نصب عينيها واصبح السودان هدفا استراتيجيا يتم العمل على انجازه وفق مراحل وبرامج دورية ومتابعات لصيقة لما يجري في السودان اولا باول .

فبعد أن كانت بريطانيا تدعي أن احتلالها لمصر هو احتلال مؤقت لتأهيل مصر مالياً وعسكرياً وإدارياً من باب الحيل ،فما لبثت أن بدأت تنظر اليه كإجراء مستديم. لأنها بدأت تعتبر مصر نقطة استراتيجية خطيرة بعد حفر قناة السويس 1868م لا سيما في مجال اتصال بريطانيا بمستعمراتها في الشرق ونعني بها الهند درة التاج البريطاني . هذا اذا وضعنا في اعتبارنا وضع بريطانيا التاريخي والتجاري والجغرافي والسياسي واستراتيجيتها القائمة على السيطرة على منافذ التجارة البحرية العالمية والتي كانت تعبرها ضمن استراتيجية امنها القومي الذي لا يقبل القسمة على اثنين

وبدأت تعتقد أن استيلاء أي قوة أوروبية أُخْرى عليها لا سيما فرنسا يمكن أن يتسبب في تقطيع أوصال مستعمراتها في القارة الهندية. ولعل من الأسباب التي اغرتها لاتخاذ هذا القرار هي وفاة محمد أحمد المهدي، هذا بالاضافة الى الحلف الاثيوبي الفرنسي الذي بدا يهدد ظهير مصر الامني من الناحية الجنوبية اذا ما وافق الخليفة الشهيد عبدالله على الدخول في هذا الحلف الاستراتيجي بين فرنسا واثيوبيا

المندوب السامي البريطاني اللورد كرومر

بعد مكاتبات ورسائل بين المندوب السامي البريطاني في مصر ورئيس الوزراء ووزارة الخارجية البريطانية في لندن وارسال خطابات الزعماء والاداريين السودانيين المعادين لنظام الحكم الوطني في السودان بقياة الخليفة الشهيد عبدالله التعايشي اعطي الضوء الاخضر لانفاذ حملة لغزو السودان وخلال تلك تلك الفترة قام كرومر بصياغة بنود اتفاق يضمن شرعنة وقانونية الغزو والاحتلال في ان واحد واستعان في ذلك بالمستشار القانوني الانجليزي ماكليرث

المندوب السامي البريطاني اللورد كرومر

اتفاق الحكم الثنائي

اتفاق الحكم الحكم الثنائي هو بدعة وخدعة ابتكرها اللورد كرومر وتبنتها الحكومة البريطانية بغية فرض هيمنتها وبسط نفوذها تحت سمع وبصر المجتع الدولي .

ما هي اصول هذا الاتفاق؟ وما هي الخطوات اتي تم بها هذا الاتفاق او كيف تمت صياغة هذه الاصول ؟ ومن هو صاحب الفكرة؟ ومن هو القانوني الذي تمكن من ان يضفي علي هذه الفكرة مسحة قانونية تم بها خداع المجتمع الدولي يومئذ؟ ومكن بريطانيا من ان تحتل السودان بدون وجه حق وان تمكث فيه ما يزيد على نصف وان تستغل خيراته وثرواته لصالح بريطانيا

سدني لي مؤرخ (5ديسمبر 1859م- 3مارس 1926م

يجيب علي كل هذه الاسئلة اللورد كرومر صاحب الفكرة وذلك في مقدمة لكتاب سدني لو (Sidney low)بعد ستة عشر عاما من احتلال السودان وواقعة ام درمان . والكتاب بعنوان مصر في دور الانتقال (1914م) قال وهو يحكي عن الكيفية التي عالج بها المعضلة (ان المشكلة التي وجب عليه ايجاد حل لها بعد استرجاع السودان هي الكيفية التي يمكن بها تجنيب ان يكون السودان دون تسميته (او التعريف علي انه) ، ارض بريطانية) . وكان مما يشغل ذهن كرومر كيف يتجاوز حيثية ان السودان هو ارض عثمانية بالدرجة الاولى مصرية بالدرجة الثانية

❑ نوع من المراوغة واللعب على القانون

كل تلك المتاعب الخطيرة التي كانت تأتي الى ذهنه ويحاول ان يجد لها حلا تاتي من استمرار اعتبار ان السودان هو ارض عثمانية . ثم يمضي كرومر في ايضاح الحل الذي عثر عليه لحل هذه المعضلة بقوله : لقد طرأ علي ذهني ان من الممكن للسودان ان يكون لا بريطانياً ولا مصرياً، بل يكون انجليزياً مصرياً. نوع من المراوغة واللعب على القانون الدولي من اجل ان تكون لبريطانيا قدم في السودان وتنتحل اسبابا واهية لاحتلاله وهو مشروع استراتيجي قديم ينتظر صفارة البداية والتغطية القانونية والشرعية لاقناع المجتمع الدولي يومئذ لا سيما الغرماء الذي يدركون ابعاد المخطط البريطاني التوسعي

ولقد قام السير مالكولم ماكيلريث Malcolm mcllwraith (المستشار القضائي منذ 1989م) بترجمة هذه الفكرة السياسية والتي كانت بعيدة كل البعد عن المنطق والواقع والقانون الي لغة قانونية تدل علي المهارة ..

كما ذكرنا في المحاضرة الماضية بان مشروع غزو واحتلال السودان هو مشروع فكرت فيه بريطانيا منذ فترة مبكرة لكن الذي هندس له وخطط له وفق الاستراتيجية البريطانية بعيدة المدة في مراحلها الاخيرة هو المندوب السامي البريطاني كرومر ولذلك قوله . انه كان عظيم الرجاء في ان يقبل اللورد سالسبري هذه الفكرة التي اقترحها عليه فيه تأكيد صريح على انه كان بالفعل المهندس الحقيقي لذلك التحرك في مراحله النهائية. كما اكد بان الاخير ويعني به --- سالسبري - من غير تردد وافق بسرور علي مقترحه بانشاء (دولة مولدة hybrid state) من طبيعة كان من المتوقع ان تثير دهشة علماء القانون الدولي. من حيث غرابتها وعدم اتفاقها مع المألوف والموروث في اعراف القانوني الدولي يومئذ.

اليوم الثلاثاء الموافق

7/10/20025

السنة الرابعة

الفصل السابع

تاريخ السودان المعاصر

المحاضرة التاسعة